IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الاكاديمية العلمية
JOURNAL OF LANGUAGE STUDIES
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: http://jls.tu.edu.iq

Social Relations in Abdul Rahman Al-Rubaie's Novel *Ar-Rafidain's Wailing*

Instr. Omaima Abdul-Jabbar Ali *
General Directorate of Education Salah Al-Din
E-mail: aiadiraqi70@gmail.com

Dr. Nafea Hammad Mohammed
Tikrit University / College of Arts / Department of Arabic Language
E.mail: Nafea2016@tu.edu.iq

Keywords:

-Social relation
-Cultural
-Weeping Al-Rafidain
-Abdul Rahman Majid Al-Rubaie
-Social Place

Article Info

Article history:

Abstract

Social relations in the Arabic novel form a wide space that develop with the development of human thought and its philosophy in knowing the environment in which it lives depending on its positions and others, it tests them with its private and public experiences. At the beginning, it was adopted as a physical and visibly tangible character, then it was construed as mental abstraction until it was eventually fused with the temporal so that it was involving the physical and moral existence in the human perception of life.

The research aims to study the social and cultural relations in the novels of Abdul Rahman Al-Rubaie, the novel of *Ar-Rafidain's Wailing* as a model, and the extent to which the novelist was affected by these important relationships in the novelist's experience.

The research follows the method of induction and textual analysis of the narrative texts in the novel "Wailing Rafidain" by Abdul Rahman Majid Al-Rubaie, and to reveal the extent of his ability to assimilate social relations as the main driver of events and personalities.

* **Corresponding Author**: Instr. Omaima Abdul-Jabbar**, E-Mail:** aiadiraqi70@gmail.com
Tel: +96477٠٢٥٥٧٤٤٤ **, Affiliation** :General Directorate of Education Salah Al-Din_Iraq

Received: 16- 4-2021
Accepted: 1-6-2021

Available online

As for the most important findings of the research, the narrative text establishes social structures and relationships that stem from the nature of the text itself, in which the social, objective, intellectual and cultural visions are centered to form the map of the narrative text in drawing the trends sought by the narrator.

العلاقات الاجتماعية في رواية نحيب الرافدين لعبد الرحمن الربيعي

م. م. أميمة عبد الجبار علي
المديرية العامة لتربية صلاح الدين

أ. د. نافع حماد محمد
جامعة تكريت _ كلية الآداب

الكلمات الدالة:-

- العلاقات الاجتماعية
-الثقافية
- نحيب الرافدين
- عبد الرحمن مجيد الربيعي
- المكان الاجتماعي

معلومات البحث
تاريخ البحث:
الاستلام : ١٦-٤-٢٠٢١
القبول :١-٦-٢٠٢١
التوفر على النت

الخلاصة : تشكل العلاقات الاجتماعية في الرواية العربية فضاءً واسعاً تتطور بتطور الفكر البشـــري وفلســـفته في معرفة المحيط الذي يعيش فيه، واعتمادا على مواقفه وغيرها

يختبرها بتجاربه الخاصـــة والعامة، فاتخذ في بداية الأمر طابعا حسـيا ملموســـا بالعيان، ثم فســـر على شـــكل تجريد ذهني إلى أن تمازج في نهاية المطاف مع الزماني، فاصـــبح مشـــتملا للوجود المادي، والمعنوي في الإدراك الإنساني للوجود.

يهدف البحث إلى دراســـة العلاقات الاجتماعية والثقافية في روايات عبد الرحمن الربيعي رواية نحيب الرافدين نموذجا، ومدى تأثر الروائي بهذه العلاقات المهمة في تجربة الروائية .

يتبع البحث منهج الاســتقراء والتحليل النصـــي للنصـــوص الروائية في رواية نحيب الرافدين لعبد الرحمن مجيد الربيعي، والكشـــف عن مدى قدرته على اســتيعاب العلاقات الاجتماعية بوصـــفها المحرك الأســاس للأحداث والشخصيات. أما أهم النتائج التي توصلت إليها البحث، إن النص الروائي يؤســـس من بنيات اجتماعية وعلاقات تنبثق من طبيعة النص نفســـه، تتمحور فيه الرؤى الاجتماعية والموضـــوعية، والفكرية

والثقافية التي تشـكل خارطة النص الروائي في رسـم الاتجاهات التي ينشدها الراوي .	

مدخل

إن العلاقة بين المجتمع والأدب لا تقتصـــر على كونها انعكاســـا للواقع، بل كونها نوعاً من العلاقات المغايرة للعلاقات المألوفة بين العالم والأنســـان وأن العلاقة بين المجتمع والأدب لا يمكن تجاهلها طالما أن الأديب هو جزء من المجتمع وهو قبل أن يكون أديبا فهو إنسـان له وزنه ودوره في المجتمع، يؤمن برســـالته ويحرص على أن يكون له دور فعال ومؤثر في المجتمع تعرف العلاقات الاجتماعية بانها مجموعة من الروابط والعلاقات المتبادلة بين الأفراد والأشـــخاص والجماعات في المجتمع، تنشأ هذه العلاقات نتيجة اتصال بعضهم ببعض.

العلاقات الاجتماعية في رواية نحيب الرافدين تمثل العلاقات الاجتماعية والثقافية والتي جاءت نتيجة أسباب مختلفة منها : اجتماعية، ثقافية، سياسية، اقتصادية وروابط أسرية ومن أسباب تكوين هذه العلاقات الدخول في هذه العلاقات من حيث المضـــمون والامتثال لهما، لأنها ((نتيجة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، أو هي الروابط والأثار المتعارفة والمتبادلة بين الأفراد في المجتمع كونها تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل المشاعر فيما بينهم وتفاعلهم في وقفة المجتمع أو هي صورة من صور التفاعل الاجتماعي بين طرفين أو اكثر بحيث تكون لدى كل طرف صـــورة عن الأخر والتي تؤثر سلبيا أو إيجابيا على حكم كل منهما للآخر))[١].

ليس من الصـــعب على أي قارئ جيد لفن الرواية في جميع مراحلها وعلى اختلاف أشـــكالها وأنماطها وتياراتها ومدارسها وحداثتها، أن يصل إلى نص شبه دقيق لأبرز مرجعياتها، تلك التي ينهل منها الروائيون موضـوعات رواياتهم وأحداثها وقضـاياها وأسـاليب سـردها، ويمكن أجمالها على نحو عام في الرؤيا والقضايا والقيم التي تتحرك في منطقة والواقع والتجربة والسيرة الذاتية.

و((يمكن النظر إلى الربيعي صـــاحب النص الإبداعي المتعدد ،على أنه يمثل حراكا اجتماعيا ثقافيا واسـعا وعميقا، وتنطوي الكثير من طروحاته على سـجال كثيف وأشـكالي أيضـا يتمتع بالحدة والمرونة معا اسـتطاع أن يثير الشـارع الأدبي والثقافي العربي على مدى عقود من الزمن بكل وعي ونشاط وحيوية))[٢]. يولي الروائي عبد الرحمن مجيد الربيعي للعلاقات الاجتماعية أهمية استثنائية، فهو سـارد اجتماعي مكاني،، إذ تعد اجتماعية المكان والزمان الأرضـية التي تتحرك فوقها الأحداث الزمكانية ، فالصـراع بين الشـخصـيات لا يحدث في الفراغ بل يؤطره زمان ومكان، فيصـبح المكان عنصرا بنائيا ودلاليا مهما في الرواية ويسهم في تحديد طباع الشخصيات وأمزجتهم[٣].

بنية العلاقات الاجتماعي في رواية نحيب الرافدين بنيه متخيلة على الرغم من وأقعيتها فقد شملت تلك العلاقات بين أحياء بغداد وأزقتها وهو ما يمثل جزءاً مكانيا شاهداً على تاريخ العراق وحضارته.

بمعنى أن التشكيل السير ذاتي يجمع بين التشكيل الواقعي في مضانه الذاتية الشخصية والتشكيل التخييلي بمرجعياته الفنية الجمالية، فالتشكيل الواقعي له موا ضعاته وقوانينه وقواعده الكتابية، مثلما التشكيل التخييلي له مواضعاته وقواعده الكتابية المختلفة، والجمع بينهما في سياق كتابي واحد يقود إلى إنجاز مواضعات وقواعد كتابة جديدة مهجنة من روافد التشكيلين معا، بحيث لا يتفوق تشكيل على آخر داخل التشكيل المشترك(٤).

إذ تعد العلاقات بصفتها الاجتماعية العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها بعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق والمكان، إذ يلد السرد قبل أن تلده الأحداث الروائية وبشكل أعمق وأكثر أثرا.(٥)

وعلاقته بالإنسان علاقة مصيرية، فلا يمكن أن يتصور الذهن لحظة من لحظات الوجود الإنساني، خارج سياقا لعلاقات في كل مناحي الحياة ومظاهرها، بل كل أحوال النفس البشرية تشهد على حضور العلاقة الكثيف، فهي جزء لا يتجزأ من كل الوجود في حركته وسكونه، فالإنسان مرتبط بعلاقات منذ لحظة وجوده في الحياة ، وهو في رحلة مستمرة من مكان إلى مكان آخر، إن التجربة على هذا الأساس تكتسي مفهومها بوصفها ((مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والأفكار التي تتراكم في نفس الفنان أو الشاعر أو الأديب، وتكون محصلة لاحتكاكه بمجتمعه وطرائق اتصاله والتفاعل بينهما))(٦)، وإنها تتمثل بوعي الأشياء والانفعال بها وتحويلها إلى إبداع عن طريق إخضاعها لمزيد من التخصيب والتعميق داخل كينونة المبدع(٧).

إن العلاقات الاجتماعية في الغالب تحتاج إلى القوة بوصفها قوة ضاغطة لسلوك الأفراد والجماعات من أجل سيادة علاقة قوية للمجتمع، إن الفرد والمجتمع وجهان لعملة واحدة بل هما حالة متشابكة مترابطة، كما يقول جون ديوي: وطبقا لهذ المفهوم فسوف يتم تصنيف العلاقات الاجتماعية في طبيعة الحال على نوعين: داخلية وخارجية فالأولى هي علاقة الأعضاء داخل الجماعة(الأسرة) علاقة الجماعة مع البيئة المحيطة.(٨)

يمثل عبد الرحمن الربيعي نموذجا فذا في كتابة الرواية العربية التي تهتم بالعلاقات الاجتماعية والثقافية، ولم يكن هذا الموضوع بعيدا عن اهتمام الربيعي؛ فهو من أولئك الذين يولون الحياة بتجاربها الاجتماعية الغنية والعميقة أهمية كبيرة في توجيه تجربة الأبداع في شتى ميادينها ورؤاها ويعتقد بأن تجربة الحياة بعلاقاتها الاجتماعية تؤدي دورا بالغ الأهمية في صناعة التجربة الإبداعية،

وتعمل كموجه لإنتاج النصوص الأدبية وبخاصة السردية، إذ يقول:((لعلي من أكثر الأدباء العرب اقترابا من تجربتي الحياتية في كتابتي الأدبية))[٩]

إن أول ما يطلعنا في رواية نحيب الرافدين هو العمارة المحتشدة بالسكان ،العمارة المحتشدة بالعلاقات الاجتماعية والثقافية، لذا نجد الراوي يصف العمارة، التي لا يكتفي بوصف الشقق على أنها غرف بل إنه يحاول أن يقيم علاقة اجتماعية مكانية:

(في هذه العمارة المحتشدة بالشقق الصغيرة، التي بنيت اصلاً لتكون مكاتب شركات وأطباء في بداية الطريق ،ومحامين مغمورين، يقيم غسان العامري. وفي نهاية كل شهر يحمل صلاح بواب العمارة الذي لا يعرف منه غسان العامري إلا اسمه الأول، القائمة التي يسلمها له مالك العمارة ليجمع الإيجارات)[١٠].

إن العيش بهذا المكان المحتشد كان ثمنه غاليا على الرغم من حصيلته الغالية بالمقابل، اذ إن غسانا ضحى بكل شيء من اجل أن ينتصر بحريته ويرى مستقبله الغامض، واحتل مكانا جديدا واجتهد أن يكون بديلا مناسبا للخروج من عزلته النفسية ليلتقي بكثير من الناس بمختلف أفكارهم وتطلعاتهم في هذا المحتشد الاجتماعي الثقافي.

الذي سرعان ما جعل من غسان متكيفا مع هذا الحشد الاجتماعي مراهنا على الفوز بمكان يستطيع من خلاله أن يجد نفسه الضائعة بين ركام الأحزان ليظهر بحلة اجتماعية تتكيف مع الثقافات والحضارات الأُخرى، إذ إن شخصية غسان أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حضارة بلاد الرافدين التي تشكل رافدا مهما لثقافات الشعوب وترتبط بعلاقات حميمة مع جميع الثقافات والحضارات.

إذ يقول:(لوعاد غسان العامري وبحث في هذا المكان المحتشد عن مكان ستد يو زكريان ببغداد قبالة مكانه جسراً جديداً يربط بين ضفتي بغداد الكرخ والرصافة. وفي صورته المعلقة كان وجهه باسما وهو يرتدي ربطة عنق نحيفة وفق موضة تلك الأيام وجوار الصورة وعلى امتداد الحائط صفت رفوف من الكتب، وثمة تحفيات خشبية كان قد اشتراها منذ اشهر من مدينة كركوك ذات الخليط العراقي من السكان عرب، أكراد، تركمان، أشوريين، إضافة إلى خليط من الأديان وما تحوي من طوائف مسلمون ، كلدانيون، يزيديون،، وجلهم ارتبطت وسائل عيشهم بشكل أو بأخر بشركة النفط)[١١].

إذ يشكل المكان الاجتماعي (الزكرياني) نقطة مهمة في حياة غسان هذه النقطة تشتغل وفق دلالات المحبة والألفة بما يحويه هذا المكان الاجتماعي الذي يمثل حضارة بلاد الرافدين وتقارب أديانه وطوائفه وقومياته في إشارة إلى عمق العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تربط أبناء البلد، وإن سيميائية هذا المكان (الجسر) الذي يربط الكرخ بالرصافة تشكل بعدا دلاليا واضحا بوصفه نموذجا للتعايش والتلائم بين أبناء الشعب الواحد ثم يتمركز الحديث حول نموذج لهذ الترابط

(كركوك) مدينة التأخي، كما نجد أن غسانا يبحث في جدار حائط الاستديو عن صورته المعلقة والتي تشع بهذا التقارب.

(وفي وجه غسان المعلق على الجدار نصف ابتسامة. تشع من وجه مازال فيه كثير من الأمل الذي لم يتوقع أنه سيغتصب منه، ويحل بدلاً عنه في وجهه الذي يحمله اليوم همّ كثير يهدّ جسداً تغرقه أمواج الحزن.

تمتم. شكراً لزكريان ذاك الذي التقط لي هذه الصورة لقد ترك غسان أشياء كثيرة وهدايا ثمينة في بيت الزوجية الذي هجره بعد الطلاق، ولا يدري لماذا حمل هذه الصورة تحت إبطه وترك لوحات مهمة أهداها له رسامون معروفون كانت قصائده تعني لهم الكثير؟ وبعد أن اكترى هذه الشقة التي لولا صديقه اللبناني الطيب "أبو ريتا"

وبعد أن اكترى التي لولا صديقه اللبناني الطيب (أبو ريتا)الذي استنفر عمال مقهاه فعثروا عليها بسرعة لما تسنى له وحده أن يجدها .ولم يكتف بذلك بل حمل اليها بعض اللوازم الضرورية مثل السرير وبعض الكراسي وطاولة كتابه، في حين جاء صديقه اللبناني الآخر غياث الإبراهيمي بثلاجة صغيرة ومروحة منضديه . وهكذا وجد له مأوى مناسبا، وعندما جاءه سؤال عدنان الغريري:

والان ماذا ستفعل؟

فأجابه:

لقد خرجت من كابوس، ولا أدري هل تحررت تماما من تلك العلاقة أم أنها تبيت لي أمرا ولا تتركني أنعم بهدوئي ! أريد أن أكتب شعرا كثيرا، لدي مشاريع قصائد، كما أنني منذ ثلاثة أعوام لم أصدر ديوان جديداً .

وقال عدنان :

كابوسك هو جزء من كابوس بلد حتى لا نعرف إلى أين يمضي ؟

كانت الشقة صغيرة جدا مكونة من مدخل وغرفة نوم واحدة، وكان أول عمل قام به غسان هو تعليق الصورة أمامه بحيث تظل شاخصة لا تغيب عن عينيه، ثم رتب محتويات مكتبته الكبيرة في رفوف اشتراها من نجار يقع محله قبالة العمارة)[١٢].

فالشخصية الروائية كان لابد لها أن تؤثر سلبا أو أيجابا على علاقتها بالأخرين، كونها تتحرك في مجال واسع كما هو الحال مع الزوجة/ أبو ريتا/ غياث الإبراهيمي/ عدنان الغريري المكان بصورته الجديدة ، والمكان القديم بصورته السوداوية (الطاردة)، يتحول إلى نقطة مركزية تتعالى على عناصر التشكل الروائي وتتمحور الشخصيات الروائية استنادا إلى خاصياته ومعطياته وحيويته الاجتماعية، غسان يتعامل مع حياة جديد تتطلب منه معايشة الواقع في رؤية ممزوجة

بالواقع الجديد الذي يشعر بانه أفضل بكثير من الماضي المرير، وإن عامل التحرر من القيود التي فرضها الزمن يتشكل عبر القراءة والكتابة، أما الأشياء التي تركها فهي لم تعد تتناسب وحياته الجديدة التي أصبحت تتناسب وتطلعاته الجديدة.

انه نوع من الهروب والخلاص الذي اشتغلت عليه شخصية غسان من اجل الإجابة عن سؤال الشخصية المرتبط بسؤال المصير، فلا حرية ولا حياة ولا مستقبل ولا سفر ولا شهرة ولا كتابة قبل الخلاص من المكان القديم المرتبط بالمرأة الزوجة، هنا تبرز المرأة الزوجة بصورتها السلبية إذ إن هنا الراوي لم يكتف برسم الشخصيات من الخارج بل أخذ يغور في أعماق الشخصيات ويكشف عن دواخلها، لقد كانت حياته مع الزوجة مقيدة وصعبة، لم يكن له حق معها، حتى في الفرح وعلى الرغم من صعوبة المشهد والصدمة التي شكلها الراوي من خلال تتابع الأحداث وتشكيل المادة الحكائية وتأطيرها داخل النص وتحديد المكان وهو الذي تتعاقب فيه المكونات السردية تعاقبا منتظماً، لذا فان قرار تغيير المصير بالرغم من قساوته ومخاوفه كان مفتاحاً لفتح الحادثة الروائية على أمل ممكن، وكان المكان الاجتماعي هو الوسيلة التي يمكنه من خلالها العبور نحو بريق الأمل مهما كان الطريق ضيقا ومحدودا ومرتهنا بالكثير من المعطيات التي لا يعرف أحد إلى ماذا ستؤول وعلى هذا النحو كان المكان الجديد متنفسا حقيقيا يستحق التضحية بالكثير من الأشياء الثمينة .

وتبقى الإشارة السيميائية إلى احتفاظ غسان بالصورة **ولا يدري لماذا حمل هذه الصورة تحت إبطه** تذكيرا بالقيمة الاعتبارية التي ستبقى شاهدا على حياة مكتنزة، وتاريخ ثر، وذكريات لا تنسى ظل حريصا على تمثلها والتمسك بها على الرغم من وجود أشياء ثمينة تركها إلا أن الصورة كانت أكثر التصاقا بحياته وربما تتشكل اللوحة من الكثير من العلامات المهمة في حياته، إذ كانت تحتشد بالكثير من الذكريات، فالقيمة المعنوية لدى غسان كانت تفوق القيمة المادية وتسيطر على المكان بشكل واسع .

ثم يذهب إلى تمركز العلاقة الاجتماعية المكانية البيروتية البغدادية في ذهنه، إذ إن روحه وحلمه في لبنان، فحبيبته (حنان) تنتظر قدومه و يأتي إليها هناك تاركا بغداد كي يظفر بحبه وحريته وحلمه.

(هنا في بغداد يواصل معايشة الجو اللبناني مع غياث الإبراهيمي وأبي ريتا وكافتيريا المنصور والنادي الاجتماعي اللبناني الذي منحه عضوية فخرية فيه، وفي مطعم أبي ياسر في الوزيرية ذلك اللبناني المهاجر من قريته الحدودية التي احتلتها إسرائيل، ومع صوت فيروز ووديع الصافي وماجدة الرومي وملحم بركات وغيرهم من الأصدقاء القادمين بهذه المناسبة أو تلك. كأن لبنان

حلمه الذي يتمنى أن يراه متجسدا، أن يرى نفسه فيه، فعن طريق صفحه ودور نشره سيصل إلى كل القراء العرب ثم إلى لبنان حنان عواد التي سكبت حبها عليه بسخاء نادر)[١٣].

بعد خلاصة من المكان البغدادي الذي يشغل حيزا واسعا من تفكيره متجسدا في لوحة احتفظ بها في ذاكرته، ينتقل إلى المكان البيروتي ويبدأ بلحظة المزاوجة التخيلية بين بيروت وبغداد وفق الذكريات الثقافية والأدبية التي تربط هذين البلدين.

إذ تتشعب العلاقات والذكريات الجميلة التي تعود بفعل الحرية التي فاز بها نحو مواصلة المشروع الاجتماعي والثقافي والأدبي نحو الشهرة وتحقيق الذات، فالمكان الحقيقي والمكان الذي يحلم به الحلم يمثلان علامة سردية حية على إضاءة عالم الشخصية الرئيسة وتمثيل رؤيتها ومركزيتها السردية في المتن الروائي، وهو ما يفسر الرغبة الكامنة لدى غسان في لقاء كل ما هو لبناني، وكأنه يعيش من خلاله الحلم المكبوت والمحاصر والمنفي، لذا كان لقائه بشخصيات اجتماعية وثقافية كشخصية غياث الإبراهيمي اللبناني المقيم في بغداد الذي بات أقرب أصدقائه كفيلاً بالتقرب من الحلم على نحو ما، بحيث تظل رائحة لبنان تعطر مناخه ومزاجه وحياته، مثلما حصل مع صاحب كافتيريا المنصور اللبناني (أبو ريتا) صديقه الآخر الذي تحولت عبره الكافتيريا إلى عنوان مستقر لغسان العامري، ودلالة للوجود والمكوث، نجد أن المكان البيروتي يتقارب مع المكان البغدادي في مخيلة غسان اجتماعيا وثقافيا، كما أن للشخصيات التي ذكرها الراوي أثر كبير في بناء العلاقات الاجتماعية من حيث تطورها ونموها، وكانت لعلاقة الصداقة التي دامت طويلا بين غسان وغياث الإبراهيمي أثرها الكبير في نفسه فهي التي أعادت إليه الحياة من جديد وجعلته يتناسى الكثير من الهموم، يقول الراوي :

(ومنذ ذلك اللقاء في دار أبو ريتا أو "الخواجا" كما يناديه عمال الكافتيريا من لبنانيين ومصريين احتراما، أصبح غسان العامري وغياث الإبراهيمي صديقين حميمين يلتقيان كل يوم تقريبا. أما الكافتيريا فصارت ملجأ غسان، ومن شرفتها المطلة على صخب الشارع يتأمل العالم ويراجع أيامه ويشيد مشاريعه القادمة. لقد أصبحت هذه الكافتيريا عنوانه أيضا، وكل الذين يريدون الاتصال به من أصدقائه ومن الأدباء والصحفيين الذين يزورون العراق يقصدون هذه الكافتيريا فان لم يجدوه تركوا له رسالة عند أحد الندل. حتى رقم هاتفها أعطاه لبعض أصدقائه ليتصلوا به مادام ملازما فيها أغلب وقته، حيث يمضي الساعات الطوال وهو يقرأ ويكتب ويحلم)[١٤].

إذ يتحول المكان الاجتماعي كافتيريا المنصور البيروتي/البغدادي إلى مسكن ومستقر والتعويض عن الحلم المهدد بالموت وباجتماعهما معا تتشيد العلاقات الاجتماعية، إذ تتجسد الشخصية الاجتماعية وتعكس لونها وقيمتها ورؤيتها وفضاءها بدلالة المكانين الشقة المحتشدة وكافتيريا

المنصـــور وهيمنتها على الواقع الاجتماعي الروائي، فالمكان يعج بالأحلام، الأحلام التي لم تفارق غسان.

ما يلبث المكان الأول (الشقة) أن يكشف عن محتواه وطبيعته حين يسلط الراوي عليه كاميرا وصفية تصوره من الخارج والداخل:

(كان بقاؤه في الشقة مرهقا له، فهي ليست شقة بقدر ما هي مكتب يندس بين مكاتب أخرى تغص بالمستأجرين العابرين أو الماكثين.. فإرادة الحاج هي التي تقرر ذلك مادامت العقود غير مصدقة في دوائر الدولة فلا تلزمه بشيء تجاه ساكنيها)[١٥].

هاجس الخوف مازال يتسلل إلى غسان من صاحب المكان حتى اصبح المكان معاديا بحكم طبيعته غير المهيئة تماما للعيش الإنساني ، فضلا على أنه معد أساسا للعمل وليس للسكن غير أنه بحكم ظروف الحرب وقساوتها أولا تحول إلى مكان للسكن تحت سلطة مالك العمارة، للساكنين فيه، وثانيا بحكم العلاقة الزوجية المتردية بين غسان وزوجته اصبح مكانا أليفا على الرغم من عدائية صاحب المكان وجشعه وهو يستغل الظرف للحصول على أكبر قدر ممكن من المال بدل إيجار شقق عمارته، لكنه بلا بديل وهنا تكمل إشكاليته في فهم حساسية العلاقة المكانية بين العدائية والضرورة، وأن اللابديل يحول المكان إلى الأليف يصلح للعيش في ظل الظروف الصعبة و غير الطبيعية بحيث تجعل كل شيء ممكننا. وبفعل العلاقات الاجتماعية والثقافية اصبح المكان يشكل جزءا مهما في حياة غسان العامري.

ومثلما هو المكان المحتشد يتجول في الفضاء الروائي لرواية نحيب الرافدين بوصفه عدائيا لكنه ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، فان الفضاء الاجتماعي الأوسع ((المدينة)) الذي يجسد حاضنة مكانية مركزية في الرواية يتكشف عن عدائيته أيضا، اذ هو مكان لا يتوافر فيه الأمان الذي يعد من اهم مقومات العيش ومن الممكن أن يموت فيه الأنسان في أية لحظة بلا طائل وبلا ثمن بسبب الحرب القائمة والجاثمة على صدور العراقيين:

(انطلقت صفارة الإنذار فجأة فأطفأت الأضواء، وهرع الناس للاختباء إذ إن هذا دليل على أن قصفاً صاروخياً إيرانياً سيشمل بغداد. خرست المدينة وتوقفت السيارات أما غسان فقد بقي في مكانه، لم يتحرك منه، كان أمام حالات كهذه قدرياً إلى أبعد حدود وأن الموت يصبح بالنسبة إليه مثل نكتة، لقد عاش لحظات أكثر صعوبة أثناء عمله في لبنان عندما كانت الحرب الأهلية على أشدها. وقد انغمس بين الناس ولم يختبأ من صواريخ (غراد) الروسية ولا القذائف الطائشة التي ترمى لمجر الرمي، ولأن المحاربين لا بد وأن يفرغوا احتقان أعصابهم وتوترها الذي يسببه الانتظار الطويل، لساعات، أو لأيام قبل أن يتلقوا أوامر بالرمي. ثم سمع غسان دوي هبوط

صـاروخ، تبـعه ثـان بعد أقـل من دقـيقة ثم انطـلقت صـفارة تعـلن أن القـصف قد انـتهى لكـن الصـاروخين لابد أن يكـونا قد فعلا فعلهما لذا هـرعت سيارات الإسعاف والحـريق)[١٦].

لكن هـذا الم كان الاجتماعي المظلم الذي يحول حياة غسـان العـامري إلى جحـيم مظلم ومهيمن ويتخيل من خلاله الحرب الأهلية في لبنان، عبر نافذة وقوع الحرب العراقية الإيرانية، ما يلبث أن يقدم في ظرف زمني خاص فسحة من الحياة يتنفس فيها غسان هواء نظيفاً وصافياً وصديقاً ومحباً، ليتحول المكان فيه فجأة إلى مكان غاية في الألفة والحياة والحرية والأمل وهذا ما اكتسـبه من وجود علاقات اجتماعية وثقافية تسـهم في تنشـيط القدرة على التفاعل والانسـجام والحياة على الرغم من قساوتها:

(عنـدما يأتـي موعـد مهـرجان المربد ينـسى غسـان نفسه، يتـحول من فنـدق إلى آخـر ، من ميـليا المنـصور إلى الميرديان إلى الشيراتون، وتعـقد الجلـسات الأهـم في الفـنادق وبين رنين الكؤوس، وغالباً ما يمـضي ليـلته في أحـد الفـنادق ولا يعـود إلى شقـته! فمـا الذي ينتظره فيها؟ مئات الشـعراء من عموديين إلى أحـرار إلى نـثريين إلى كـذابين إلى كـلاب وأبناء كـلاب. أما الشـعراء والصـحفيون اللبنانيون فيمنحوه محبتهم المتفردة الخاصـة، وعندما تأتي حنان معهم يكون كواحد منـهم.

ومرة قالت لـه :

- ما الـذي يحصل لو أنـهم سمحوا لك بأن تغادر معنا ؟
- حتى أنا أسأل هذا السؤال !
- أية مصيبة تحل عندما يتحول الوطن إلى سجن؟)[١٧]

ملتقى المربد الاجتماعي والثقافي الأدبي يشـــكل بعدا ثقافيا واجتماعيا مهما إذ اصـــبح من المـعالم الاجتماعية والثقافية في البلد، إذ تمتزج فيه الثقافات والحضارات، استطاع غـسان أن يجـعل منه فسـحة من الأمل ينسـى فيها قسـوة الحياة وقهر العيش، مسـترجعا ذكرياته مع الشـعراء والأدباء، ولاسيما الأدباء اللبنانيون منهم وبخاصـة عندما يكون مشفوعا بوجود الحب والحياة التي تمنحها له حنان عواد، كما ينفتح التلاحم الاجتماعي على رؤية ثقافية واجتماعية خصبة على الرغم من قصر مدته إلا أنها كانت تشع بالحياة والتجدد ، لقد كانت للراوي علاقات صداقة واسعة وحميمة مع الأدباء عكسـها بمركزية الشـخصـية الرئيسـة (غسـان العامري) ، إن الأحداث الروائية هي نقطة تحول في علاقة الشخصية مع غيرها من الشخصيات سواء كان في المحيط الداخلي أو الخارجي مما يؤثر في الشخصية الروائية وهذا التأثير ينتج سلوكا إيجابيا وهذ السلوك الذي يمثل الحراك الاجتماعي والثقافي للراوي، يفصـح السـرد في هذا النص عن تأثير كبير تركه المكان/ المربد كونه المتنفس الوحيد لهم على العالم الخارجي ونقطة الوصل الوحيدة للأدباء والشعراء لقد كان لهذا المكان أثر عظيم في نفس كل شـــاعر وأديب، فهو بمثابة الرابط الذي يجمع أفراد العائلة الواحدة بعيدا عن ضـــغوطات الحياة،

فهو المكان الذي يجمعهم للسمر والمرح الاجتماعي والثقافي، إذ يكشف السرد الروائي عن التأثير المكاني للمربد على الشخصيات وجاء هذا التأثير كبيرا ومستمرا في الرواية، لقد كان هذا الملتقى بالذات هو روح الشعر ولم شمل الجميع.

وفي إشارة أخرى إلى شخصية الراوي الاجتماعية والثقافية مع حشد من الشخصيات الأدبية والثقافية الواقعية السير ذاتية يقول:

(وأحس غسان بأنه رغم إزاحة المقهى وتشييد عمارة قبيحة مكانه فإن أصوات رواده مازالت تتردد، نقاشات شريف الربيعي وعادل كاظم وأحمد المفرجي وعبد الستار ناصر وإبراهيم زاير وسركون بولص وعبد الرحمن مجيد الربيعي وسامي مهدي وكذلك أصوات قهقهاتهم).[١٨]

إذ يتجه إلى المكان الاجتماعي الآخر الذي كان يتردد إليه الشعراء والأدباء، ففي هذا المكان تعقد النقاشات وتتمحور اجتماعيا وثقافيا وسياسيا في طروحاتها لتمتزج بفعالية الضحك، بشكل مختلف عن ما كان يدور في المربد فهناك في المربد كانت النقاشات تنحصر بما هو أدبي ثقافي يتغزل بحب الوطن والسلطة، كما أن هناك إشارة ثانية نحو ترتيب العلاقة بين الراوي والمؤلف الحقيقي عبد الرحمن مجيد الربيعي إذ ((يتركز في بؤرة التجاذب بين وهم الانفصال والابتعاد في فضاء التخيل الروائي وحقيقة القرب والاندماج في فضاء السرد الذاتي مع حضور عناصر التشكيل زمانا ومكانا وحدثا في سياق تمثيل التجربة))[١٩] في تأكيد دائم من المؤلف على المكان الواقعي الذي يضم شخصيات أدبية وثقافية معروفة في الوسط الثقافي.

الخاتمة

إن البناء الروائي في رواية نحيب الرافدين يستند وبشكل كبير إلى العناصر المجتمعة التي أدت دورها في التأثير الكبير على الشخصيات جميعا مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل التي هيأت لهذه العناصر أن تؤثر تأثيرا فعليا على العلاقات الاجتماعية، فكان للعلاقات الاجتماعية حضور بارز في الرواية، إذ يشكل العنوان الروائي جزءا كبيرا في تكوين هذه العلاقات.

ولرواية بما تحويه من مواقف على الرغم من أن أماكنها محدودة بالأحياء في بغداد وهي التي ظهر اثرها بارزا وواضحا في الرواية، فإنها انتجت شخوصا وحاولت أن تقف عند أفكار كل شخصية واختلاف رؤيتها للحياة، للمكان هو الآخر أثر كبير وواضح في تغيير العلاقات الاجتماعية بين الشخصيات مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل التي هيأت لهذا العنصر أن يشتغل ويؤثر في العلاقات الاجتماعية فالشخصية الروائية لغسان العامري كان لابد لها من أن تؤثر سلبا أو إيجابا على علاقاتها بالآخرين، لاسيما وأن الشخصية الروائية تتحرك في فضاء واسع.

إن الأحداث الروائية هي نقطة تحول في علاقة الشخصية مع غيرها من الشخصيات سواء كان في محيطها الداخلي أو الخارجي فالحدث الروائي يؤثر في الشـــخصـــية، كما للمكان أثر كبير في تغيير العلاقات الاجتماعية بين الشخصيات.

الإحالات والهوامش

١) العلاقات الاجتماعية تعريفها _أهميتها _تصـنيفها _أنواعها _العوامل المتحكمة بها نحو علم اجتماع تنويري، حسـام فياض ، د. ت، د. ط : ٢٠١٦.

٢) أسـرار الكتابة الإبداعية عبدالرحمن الربيعي والنص المتعدد، الربيعي في دائرة النقد، نافع حماد محمد _أعداد محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، بيروت ،ط:٢٠٠٨ : ١٨٣ .

٣) ينظر دلالة المكان في رواية عابر سـرير، لأحلام مسـتغانمي، سـعدية بن يحيى ، رسـالة ماجسـتير، جامعة الجزائر، الجزائر،٢٠٠٨ :١.

٤) ينظر التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة، محمد صابر عبيد، دار نينوى، سورية، ط٣،٢٠١٢ :٥ –٦

٥) إشكالية المكان في النص، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ط١، ١٩٨٦ :٥.

٦) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط١،١٩٧٩ :٥٨.

٧) ينظر العلاقات الاجتماعية: ١٢٣

٨) التجربة الأدبية في الشـــعر العربي المعاصـــر، هشـــام محمد عبد الله، أطروحة دكتوراه ،جامعة الموصـــل، العراق,٢٠٠١:٧.

٩) الخروج من بيت الطاعة، شـــهادات أدبية للأديب عبد الرحمن مجيد الربيعي، جمع وإعداد خالد محمد غازي، وكالة الصحافة العربية، القاهرة،،١٩٩٨: ١٤٥ .

١٠)رواية نحيب الرافدين، عبدالرحمن مجيد الربيعي، الجزائر، منشورات ضفاف، ط ١،

١١) ٢٠١٦:٢٥.

١٢)الرواية : ٤٠–٤٤

١٣)الرواية :٦٤

١٤)الرواية: ٦٨.

١٥)الرواية: ٦٩.

١٦)الرواية :٨٨.

١٧)الرواية :١٢١.

١٨)الرواية :٥٦٥

١٩)الرواية الرائية لعبة القص: سرد الحياة وسرد الحكاية، محمد صابر عبيد، دار نقوش عربية، تونس،ط١، ٢٠١٣:٧٢.

Reference

-Abdullah, Husham Mohammad. "At-Tajribat ul-Adabiyatu fish-Shi'r il-Arabi il-Mo'asir". PhD Dissertation. Mosul University, Mosul, 2001.

-Abdun-Nour, Jabbour. *Al-Mo'jam ul-Adabi*. Beirut: Dar ul-'Ilm lil Malyien, 1979.

-An-Naseer, Taseen. *Ishkaliyat ul-Makan fin-Nass*. Baghdad: Dar ush-Sho'un ith-Thaqafiya, 1986.

- Ar-Rubai'ie, Abdur-Rahman Majeed. *Naheeb ur-Rafidain*. Algeria: Manshurat Dhifaf, n.d.

-Bin Yahya, Sa'diya. Dilalat ul-Makani fi Riwayati 'Aabir Sabeel li Ahlam Mastaghanmi" M A Thesis. Algeria Unuversity, Algeria, 2008.

-Fayyadh, Husam. *Al-'Ilaqat ul-Ijtim'iay: Ta'rifuha, Ahamiyatuha, Tasnifuha, Anwa'oha*. N.p., 2016.

-Ghazi, Khalid Mohammad (ed.). *Al-Khoruj min Beit at-Ta'a: Shahadatun Adabiya lil Adeeb Abdur-Rahman Majeed Ar-Rubai'ie*. Cairo, 1998.

-Obeid, Mohammad Sabir & Nafi' Hammad Mohammad. *Asrar ul-Kitabati il-Ibda'iya: Abdur-Rahman Ar-Ruba'ie wan-Nass ul-Mota'addid*. Beirut: 'Alam Al-Kutub al-Hadith, 2008.

----------. *At-tashkil ul-Siyarthati: At-Tajribatu wal Kitaba*. Damascus: Dar Nainawa, 2012.